الفصل الثاني

دلائليات التجربة الشعرية
عند مظفَّر النوَّاب

1. مداليل الثورة وإرادة التغيير.
2. مؤولة الأسى والحزن.
3. مؤولة الوطن والبلاد.
4. مؤولة النفي والاغتراب.
5. مؤولة الجراح والآلام.

- نتائج واستدلالات.

الفصل الثاني

دلائليات التجربة الشعرية عند مظفَّر النوَّاب

لا شك في أن التجربة الشعرية – عند الشاعر مظفَّر النوَّاب – تجربة متميزة في منحاها الفني وشكلها الأسلوبي ومغزاها الدلالي؛ ولا تقف نصوصه حدَّ الواقع الحسي المعاش؛ وإنما ترتقي إلى حيز المغامرة والإثارة بفضاءاتها الثورية والتأملية؛ وهي تعكس درجة من الوعي الثوري بالقضايا التي تعيشها أمتنا العربية؛ من فقر؛ وظلم؛ واستغلال؛ واضطهاد؛ وقد عكس مجموعة من الرؤى والمداليل الشعرية للواقع القمعي الذي تعيشه الشعوب العربية.

ومن تدقيقنا في منحى هذه التجربة ومسارها التأملي، وجدنا عدة رؤى تتمفصل عليها هذه التجربة، نذكر منها:

1. مداليل الثورة وإرادة التغيير.

تطغى على قصائد مظفَّر النوَّاب الطابع الثوري وإرادة التغيير، إذ تغص قصائده بالرؤى الثورية وصيحات الاحتجاج؛ محاولاً تعرية الواقع العربي بالنبرة الخطابية الانفعالية الضاجة بالعنف، والتجاوز، والانتهاك الفاضح بمداليل لغوية يصل فيها حدَّ الإباحية المفرطة، والتعرية الفاضحة؛ بألفاظ نابية في كثير من الأحيان؛ كما في قوله:

«اغتصبوا أمَّك أيضـًا من كلماتِ الله على شفتيها

من خمسينَ من السنواتِ دموعـًا بالأرض بعينيها»[1].

وقد يعتمد الشاعر الأسلوب الثوري الصاخب الذي يضج بالثورة والانفعال وصيحات الاحتجاج؛ إذ يقول:

«ها أنا أعلنُ قلبي ضوءَ إسعافٍ حزينْ

في جروحِ العمرِ والثوار... والبابونجُ الشاحبُ يبكي

في بقايا جثثِ الأطفالِ في أنقاضِ صيدا

عمرُها سيارةُ الإسعافِ لا تغفو

لا تنسى جروحَ الناس

لا تلزمني أنظمةُ السيرِ

ولا الشاراتِ

وإني ذاهبٌ للجرحِ.. للطلقةِ.. للعمق الفلسطيني

---

(1) النواب، مظفر، 1996– الأعمال الشعرية الكاملة، دار قنبر، لندن، ط1، ص 230-231.

لا تلتزم الطلقةَ.. لا يلتزمُ الإسعاف إلا بالمهماتِ وخطّ السيرِ

وقد يرتبكُ العدادُ

قد تشتبكُ الحاوياتُ والأحداثُ.. والخندق

أستهدي بطعمِ الألم الثوري»[1].

واللافت هنا كثافة المداليل التي تتضمنها القصيدة في الدلالة على الواقع الثوري؛ بصور عاطفية مشحونة بعمق الإحساس، وصدق العاطفة ورهافة الشعور الوطني، إزاء ما يعانيه الشاعر من ضغوطات وأزمات نفسية، كما في قوله: «ها أنا أعلنُ قلبي ضوءَ إسعافٍ حزينْ، في جروحِ العمر والثوار... والبابونجُ الشاحبُ يبكي، في بقايا جثثِ الأطفالِ في أنقاضِ صيدا».

وقد تأتي قصائده ثورية ذات صخب دلالي وانفعالي عارم؛ دلالة على الارتكاس النفسي، وزخم الغضب والانفعال، واتقاد نار الثورة في داخله؛ كما في قوله:

«أصبحَ ممنوعٌ أن تستشهدْ

أو تدفعَ حبيبكَ عندَ حدودِ الجيرانِ وتستشهد

أيُّهما إسرائيل

الخبزُ عليهِ علامةُ إسرائيل

حباتُ الرزِّ عليها إسرائيل

المسجدُ والخمارةُ والصندوقُ القوميُّ لتحريرِ القدسِ بداخلهِ إسرائيل»[2].

تتمفصل مداليل هذه القصيدة على دينامية الصور الانفعالية ذات الصخب

(1) المصدر نفسه، ص 207 - 209.
(2) المصدر نفسه، ص 232 - 234.

الدلالي الثوري، الذي يتبدى في مراكمة صيحات الاحتجاج والقلق والنبرات الحادة، دلالة على اتقاد نيران الثورة في داخله، على نحو ما تبدى في أشكال من الاحتجاج والتوتر والانفعال النفسي؛ كما في قوله: «الخبزُ عليهِ علامةُ إسرائيل، حباتُ الرزِّ عليها إسرائيل، المسجدُ والخمارةُ والصندوقُ القوميُّ لتحريرِ القدسِ بداخلهِ إسرائيل».

2. مؤولة الأسى والحزن.

تطغى مؤولة (الأسى والحزن) على قصائد مظفَّر النوَّاب؛ دلالة على المرحلة العصيبة التي مر بها من سجن ونفي واغتراب؛ ولعل تكرار هذه المؤولات في قصائده، فيها دلالة واضحة على معاناته في ظل واقع قمعي سلطوي، يؤذن بالظلم والكبت والاستغلال؛ وقد عكس هذه المداليل في قصائده بكثافة عظيمة، كما في قوله:

«ها أنا أعلنُ قلبي

أعلنُ أن الجرحَ يمتدّ

ولا يلقى سوى المستنقعِ القطري

حدَّ العظمِ.. والحزن البريدي

سئمتُ الحزنَ برقيًا

سئمتُ القتلَ تكراراً

كفى مهزلة

إني أحنُّ الآن أن أُقتلَ في بغداْد»[1].

هنا، يشعر الشاعر بعمق وفداحة الجراح، معلناً سأمه من الحزن والقتل والتأزم النفسي؛ مظهراً إقدامه على الموت شهيداً على أرض بغداد؛ ولعل دلالة الحزن تؤكد المرحلة المؤلمة التي مر بها الشاعر في رحلته الاغترابية القسرية عن العراق.

وقد يصور مظفَّر النوَّاب الواقع العربي المؤلم بصور تعروية فاضحة؛ كاشفاً من خلالها عن أساه وحزنه؛ قائلاً:

---

(1) المصدر نفسه، ص 210.

«تعالوا نتحاكم قدَّامَ الصحراءِ العربيةِ كي تحكمَ فينا

أعترفُ الآنَ أمامَ الصحراءِ بأني مبتذلٌ

وبذيءٌ

وحزينْ

كهزيمتكُم

يا شرفاءَ مهزومين

ويا حكَّامًا مهزومينْ

ويا جمهوراً مهزومًا»[1].

يعتمد الشاعر – في هذه القصيدة – على مؤولة الحزن في بث مشاعره الداخلية التي تصطهج بالثورة والانفعال على الواقع العربي المهزوم، إذ يقول: «أعترفُ الآنَ أمامَ الصحراءِ بأني مبتذلٌ، وبذيءٌ، وحزينْ، كهزيمتكُم. يا شرفاءَ مهزومين، ويا حكاماً مهزومين، ويا جمهوراً مهزوماً»؛ إن من يدقق في القصيدة يلحظ طابعها الانفعالي الارتكاسي الحزين من جهة؛ وطابعها الثوري الغاضب من جهة أخرى؛ وبالتالي محاولة الشاعر إظهار حزنه وقلقه، وأساه بكل انفعال وزخم ثوري انفعالي عارم على الواقع.

وقد يعتمد الشاعر مظفَّر النوَّاب الصور الارتكاسية الحزينة المؤلمة في تكثيف المشهد الدراماتيكي الشعوري وتعميق مداليل الأسى، والحزن، بقوله:

«الدرجُ الأرجوانيُّ الذي يفضي إلى بيتِ الرضى الليليّ

أطفأتُ دموعي فوقَه منتشياً بالخشبِ العابقِ بالحزنِ

هذا جسدي.. إني.. دمي

(1) المصدر نفسه، ص 480 - 481.

هذي قناعاتي..

وهذا درجٌ أحملُه

أرقاهُ في الليل

أرى أو أمسحُ النجمةَ بسمِ اللهِ هذا وطني

علمني ألتزم النار..

لماذا كلُّ هذا الصمت؟

هذي الضجَّةُ الخرقاء

هذي الهامشيات... الصراعات.. الأكاذيب

لماذا يدخلُ القمعُ إلى القلبِ

وتستولي الرقاباتُ على صمتي

وأوراقي

وخطوي ومتاهاتي؟»[1].

تتمفصل مداليل هذه القصيدة على التوصيف المشهدي للحالة الشعورية المكثفة، التي تكتظ بمداليل الأسى والحزن، والضياع والكبت والقمع؛ وكأن الصمت قد خيم على الشفاه؛ فلم تعد تنطق أي شيء؛ معبراً عن هذه الحالة بدقة متناهية؛ بقوله: «لماذا كلُّ هذا الصمت؟، هذي الضجَّةُ الخرقاء، هذي الهامشيات... الصراعات.. الأكاذيب، لماذا يدخلُ القمعُ إلى القلبِ، وتستولي الرقاباتُ على صمتي، وأوراقي، وخطوي، ومتاهاتي؟». إن من يدقق في القصيدة يلحظ سيطرة مؤولة الكبت، والضياع، والحزن، والانكسار النفسي

(1)المصدر نفسه، ص 201-203.

الشعوري على صوره كلها دلالة على حالة الأسى، والجراح، والمعاناة التي يعيشها في غربته عن ذاته حيناً، وعن الوطن حيناً آخر؛ أي أن الشاعر يعيش غربتين غربة عن الذات، وغربة عن الوطن؛ وقد تبدى لنا ذلك في ارتحال صوره – دوماً – إلى الكبت، والخوف، والضياع، والانكسار النفسي؛ الذي يمتاز بالقلق والحزن والوجاعة الداخلية.

كما وتتأسس رؤى الشاعر مظفَّر النوَّاب الارتكاسية على إيقاع القلق، والحزن والكآبة والوجاعة الداخلية؛ رداً على الجراح والآلام النفسية التي تعتصر كيانه في لحظات الغربة، والحزن، والضياع، كما في قوله:

«أعرفُ أن العصافيرَ في الزقاقِ المعدنية

تبقى تمسحُ ريشاتها لصباحٍ جميل

امسحْ ريشةَ حزني يا ربّ»[1].

تتبنى المؤولات هنا على إيقاع الحزن والوجاعة الداخلية في محاولة الشاعر التعبير عن دواخله الشعورية بكل صداها الانكساري القلق الحزين، متأملاً الفرج القريب، والعودة إلى الوطن، وبزوغ فجر جديد مشرق؛ يمسح عنه ضبابة الحزن والدموع والآلام. وهكذا، يؤسس مظفَّر النوَّاب رؤاه الاغترابية على القلق والوجاعة، والحزن والألم، مكرساً مظاهر الوجاعة الداخلية؛ بتكثيف المؤولات المكافئة لهذه المؤولة؛ كلفظة القهر.. والدمع.. والعذاب.. والأسى.. والجراح.. والضياع.. والنفي.. والاستلاب..

(1) المصدر نفسه، ص 336-337.

3. مؤولة الوطن والبلاد.

تطغى مؤولة الوطن على قصائد مظفَّر النوَّاب؛ برؤى حزينة ارتكاسية تصور الوطن بكل مظاهر الضعف، والقتامة، والحداد؛ محاولاً تكثيف رؤاه الاغترابية الحزينة بكل صداها النفسي، وانكسارها المشهدي، وقلقها الارتكاسي المؤلم؛ إذ يقول:

«وطني علِّمني..

علِّمني أن التاريخَ البشريَّ بدونِ الحبِّ عويلٌ ونكاحٌ في الصحراء

وطني هل أنتَ بلادُ الأعداء؟

وطني هل أنت بقيةُ "داحس والغبراء"؟

وطني أنقذني رائحةُ الجوعِ البشريِّ مخيفة

وطني أنقذني من مدنٍ سرقتْ فرَحي

أنقذني من مدنٍ يصبحُ فيها الناسُ

مداخنَ للخوفِ وللزبلِ مخيفة

أنقذني من مدنٍ ترقدُ في الماءِ الآسنْ

كالجاموسِ الوطني

وتجترُّ الجيفةْ

أنقذني كضريحِ نبيٍّ مسروق»[1].

هنا، يعتمد الشاعر الأسلوب الحواري في مناجاته للوطن؛ مناجاة فيها الكثير من الأسى والحزن على هذا الواقع المؤلم؛ متسائلاً لماذا تحولت هذه

(1) المصدر نفسه، ص 476 - 477.

البلاد إلى مقبرة للقيم والأخلاق؛ والعزة، والشهامة، والكرامة؛ محاولاً تكثيف الرؤى الانكسارية التي تبين عمق الجراح، وفداحة الألم من جراء دناسة الواقع، واتضاعه وفساده وانحلاله؛ إذ يقول: أنقذني من مدن يصبحُ فيها الناسُ، مداخنَ للخوفِ وللزبلِ مخيفة، أنقذني من مدنٍ ترقدُ في الماءِ الآسنْ، كالجاموسِ الوطني، وتجترُّ الجيفةْ. إن هذه الصور الارتكاسية المؤلمة للوطن؛ تصور فساده وضعفه وهشاشته؛ محاولاً إيقاظ روح المقاومة وتبيان مواطن الفساد في هذا الوطن؛ قائلاً:

«يا وطني المعروض كنجمةِ صبحٍ في السوق

في العلبِ الليليةِ يبكونَ عليك

ويستكملُ بعضُ الثوارِ رجولتَهم

ويهزُّونَ على الطبلةِ والبوق

أولئك أعداؤُك يا وطني!

من باعَ فلسطينَ سوى أعدائِك أولئك يا وطني؟

أقسمتُ بأعناقِ أباريقِ الخمرِ

وما في الكأسِ من السمِّ

وهذا الثوري المتخم بالصدفِ البحريِّ ببيروتْ

تكرَّشَ حتى عادَ بلا رقبة

أقسمتُ بتاريخِ الجوعِ ويومِ السغبة

لن يبقى عربيٌّ واحد إن بقيتْ حالتُنا هذي الحال بين حكوماتِ الكسبة»[1].

(1) المصدر نفسه، ص 477 - 479.

تتمفصل مداليل هذه القصيدة على مؤولة الوطن، ومداليله الدالة على المهزلة والاتضاع والفساد؛ إذ تخلى العرب عن قضيتهم وقايضوا بها، محاولاً تعرية هذا الضعف، والتخاذل بمفردات نابية. وما يثير الانتباه في مؤولة الوطن هذه النظرة السوداوية البائسة إلى مداليله ورؤاه؛ إذ يأتي الوطن بدلالات سلبية؛ تغذي البعد السلبي لرؤاه ونظرته الاغترابية إلى الأشياء.

وهكذا، يؤسس الشاعر دينامية القصيدة على إيقاع الاغتراب والأسى والكآبة؛ التي تدمي فؤاده حزناً وأسى على الواقع السوداوي الحزين المؤلم للبلاد العربية. لهذا جاءت صورة الوطن بائسة حزينة إلى درجة الانكسار والتشظي النفسي المؤلم.

4. مؤولة النفي والاغتراب.

ترتكز العديد من قصائد مظفَّر النوَّاب على مؤولات النفي والاغتراب؛ محاولاً تكريس الدوال المكافئة لهذه المؤولة في التعبير عن الوجاعة والاغتراب النفسي الداخلي العميق؛ من هذه المفردات: «الدماء، والحزن، والشقاء، والنفي، والغربة، والضياع، والبؤس، والفقر، والجوع، والتشرد، والقتامة، والحداد». ولم يقتصر الأمر على ذلك، وإنما يحاول دائماً تكثيف مؤولات النفي والاغتراب في السياق الواحد؛ دليلاً على التوتر النفسي، والإحساس الشعوري المأزوم بالقضايا العربية وتشتتها وضياعها، وراء شرذمات الواقع اليومي الحياتي المعيش وروتينه الممل.

ومن يطلع على قصائده يلحظ هذه النبرة الاغترابية الحزينة التي تضج بالحسرة، والتأوه، والضجيج الشعوري المؤلم؛ نتيجة الإحساس بالتشرد، والحزن، والضياع؛ إذ يقول:

«دائرٌ قلبي مع الأيَّام

والثوَّارِ

والعشاقِ

لا يعرفُ طعمًا للرقاد

وحدودي.... كلُّ إنسانٍ يعاني غربةً

حتى أرى غربتَهُ عادتْ إلى غربتِها

واصطحبَ العمر إلى بلدتِهِ

يحملُ القلبَ داميًا من فرحٍ

أو عمرٍ..

أو صاحب»[1].

تتمركز الرؤى الدلالية – في هذه القصيدة – حول مركز بؤري واحد؛ وهو الشعور بالاغتراب والوجاعة الداخلية والنفي والضياع؛ وهذا ما تبدى في قوله: «وحدودي... كلُّ إنسانٍ يعاني غربةً، حتى أرى غربتهُ عادتْ إلى غربتِه»؛ إن هذا الشعور الاغترابي الحزين؛ دليل قتامة وتشرد، وضياع؛ محاولاً إظهار هذه المداليل بكثافة رؤيوية واضحة إلى حد بعيد، كما في قوله: «دائرٌ قلبي مع الأيَّام، والثوَّارِ، والعشاقِ، لا يعرفُ طعماً للرقاد».

إن الإحساس بالقلق والتوتر والضياع، ظل مصاحباً لقصائد مظفَّر النوَّاب في مراحل حياته كلها؛ ولا عجب في ذلك فهو القائل:

«يا غرباءَ الناسِ

بلادي كصناديقِ الشايِ مهَّربة

أبكيكِ بلادي

أبكيكِ بحجرِ الغرباء

وكل الحزنِ لدى الغرباءِ مذلَّة

إلامَ ستبقى يا وطني! ناقلةً للنفطِ

مدهنةً بسخامِ الأحزانِ

وأعلامِ الدولِ الكبرى

ونموتُ مذلَّة»[2].

---

(1) المصدر نفسه، ص 211 - 212.
(2) المصدر نفسه، ص 471.

ترتكز مداليل هذه القصيدة حول مؤولة الاغتراب؛ مكرساً جلّ الدوال صوب دائرة الغربة، والجراح والآلام، والمهانة والذل؛ إذ إن كل مفردة من تلك المفردات تعري الواقع المؤلم؛ وتشي بحالة من الوجاعة، والحزن والأنين على ما حاق في بلاده من ذل وانكسار؛ كما في قوله: «إلامَ ستبقى يا وطني! ناقلةً للنفطِ، مدهنةً بسخامِ الأحزانِ، وأعلامِ الدولِ الكبرى، ونموتُ مذلة».

وقد يعتمد الشاعر مظفَّر النوَّاب إيقاع الصور العاطفية المأزومة بكل صداها الانكساري المؤلم؛ كما في قوله:

«إلامَ أنا وطنٌ في العزلة؟

يا غرباءَ الناسِ أغصُّ

لأن الدمعَ يجرحُ أجفاني

في الحلمِ يطينُني الدمعُ

وتأتي الأفراحُ كسلسلةٍ من ذهبٍ من كنزك

يا ملكَ الأنهارِ بقلبِ بلادي

أبكيكِ بلادَ الذبحِ كحانوتٍ تُعرَضُ فيهِ ثيابُ الموتى

أمتدُّ إليكِ كجسرٍ من خشبِ الليلِ

وسيعبرُ تاريخ الغربة

كلُّ جسورِ الليلِ تسوسنُ سوى جسري

أحتكُّ بكلِّ الجدرانِ

كأنَّ الغربةَ يا قاتلتي جربٌ في جلدي

أتشهَّى كلَّ القططِ الوسخةِ في الغربةِ»[1].

(1) المصدر نفسه، ص 472.

هنا، يأتي إيقاع الغربة والإحساس بالضياع واضحاً في هذه القصيدة؛ ناهيك عن استخدامه إيقاع الصور العاطفية المأزومة بدلالاتها الانكسارية الدالة على الألم والفقر والضياع، وكأن الغربة جرب في الروح والجلد تميت القلب وتدنِّس صفاءه؛ وهذا ما يعكسه قوله: «كأنَّ الغربةَ يا قاتلتي جربٌ في جلدي، أتشهَّى كلَّ القططِ الوسخةِ في الغربةِ». إن هذه الرؤى الاغترابية تدل دلالة قاطعة على تأزم نفسي وقلق، ووجاعة داخلية عارمة تعتصر قلبه وتدمي فؤاده.

وقد يحاول الشاعر التمسك بالأشياء التي تذكره بالوطن والحنين إليه؛ رغبة منه في تبديد الوجاعة الاغترابية التي ترهق روحه أسى وحزناً واغتراباً؛ إذ يقول:

«قد أعشقُ ألفَ امرأةٍ في ذاتِ اللحظة

لكني أعشقُ وجهَ امرأةٍ واحدة في تلكَ اللحظة

امرأة تحملُ خبزاً ودموعـًا من بلدي

أعبرُ أسواقَ اللحمِ فأبكي

يا بلدي يا سوقَ اللحمِ لكلِّ الدولِ الكبرى بلدي

يا بلداً يتناهشُها الفرسُ، ويجلسُ فوقَ تنفُّسِها الوالي العثماني

يا بلدي.. يا بلدي.. تعالي نبكي الأمواتَ ونبكي الأحياءْ

فأنتِ حزينةٌ

والحزنُ ثقيلٌ في الليلِ

في تلكَ الساعةِ من شهواتِ الليل

.....

ألقيتُ مفاتيحي في دجلةَ أيامَ الوجدْ

وما عادَ هنالكَ في الغربةِ مفتاحٌ يفتحُني

وها أنا ذا أتكلَّمُ من قفلي

من أقفلَ بالوجدْ

وضاعَ على أرصفةِ الشامِ سيفهمُني

من لم يتزوَّدْ حتى الآن

وليسَ يزاود في كلِّ مقاهي الثوريينَ سيفهمُني

من لم يتقاعدْ كي يتفرَّغَ للهو

سيفهمُ أيَّ طقوسٍ للسريَّة في لغتي

وسيعرفُ كلَّ الأرقام

وكلَّ الشهداءِ

وكلَّ الأسماءِ

وطني علِّمني أن أقرأَ كلَّ الأشياء

وطني علمني أن حروفَ التاريخِ مزوَّرةٌ حينَ تكونُ بدونِ دماء»[1].

تتمفصل مداليل هذه القصيدة على إيقاع الحنين والاغتراب؛ مكثفاً هذه الرؤى بصخب دلالي انفعالي؛ اغترابي حزين؛ ونفث شعوري عاطفي مشوب بالحنين إلى تراب الوطن وذكرياته الجميلة؛ وفتياته الحسان اللواتي اشتاق إلى مناجاتهن وممازحتهن بجانب النبع، إذ يقول: «قد أعشقُ ألفَ امرأةٍ في ذاتِ اللحظة، لكني أعشقُ وجهَ امرأةٍ واحدة في تلكَ اللحظة»؛ وقد تبدى أثر الاغتراب واضحاً حزناً وقتامة وانكساراً حين رأى بلاده كشاة مذبوحة يتكالب عليها

(1) المصدر نفسه، ص 473 - 476.

الأعداء؛ وينهشون لحمها منذ القديم من زمن الفرس وحتى الآن؛ إذ يقول: «يا بلدي يا سوقَ اللحمِ لكلِّ الدولِ الكبرى بلدي، يا بلداً يتناهشُها الفرسُ ويجلسُ فوقَ تنفُّسِها الوالي العثماني، ... يا بلدي.. يا بلدي.. تعالي نبكي الأمواتَ ونبكي الأحياءْ».

واللافت تكريس الشاعر للصور المأزومة ذات البعد النفسي المؤلم والاغتراب الارتكاسي الحزين؛ حين يرى كل وجوه الناس مزوّرة والتاريخ مزوَّر، والدول العربية مزوّرة بالوهن والضعف؛ إذ يقول: «وطني علِّمني أن أقرأَ كلَّ الأشياء، وطني علمني أن حروفَ التاريخِ مزوَّرة حينَ تكونُ بدونِ دماء».

وهكذا؛ يكثّف الشاعر مظفَّر النوَّاب رؤاه الاغترابية بإيقاع توصيفي سردي واضح الدلالات وبارز المداليل، وكأن الشاعر قصد إلى ذلك قصداً لإلقاء كل ما في داخله من توهجات واصطراعات ونفثات ثورية انفعالية مكبوتة إلى القارئ؛ بنفس ملحمي ثوري؛ يتقصى المشهد المأزوم بدقة ومونتاجية شعورية مكثفة للصور العاطفية المأزومة، التي ترصد الواقع بعين كاشفة ناقدة أكثر من كونها راصدة للحدث وتناميه الشعوري المكثف ضمن النسق الشعري.

5. مؤولة الجراح والآلام.

تكثر – في قصائد مظفَّر النوَّاب – مؤولات الجراح والآلام؛ ومكافآتها الدلالية مثل: (الألم – والنزف – والدماء – والجروح – والأنين – والدموع – والمذابح – والصراخ)؛ محاولاً التعبير عن جراحه وآلام اغترابه ونفيه وسجنه وضياعه؛ ولعل ما يؤكد ذلك تراكم المفردات الدالة على الجراح والآلام ومرارة الاغتراب؛ إذ يقول:

«جاء جنودُ سليمانَ

أيُّها النملُ فادخلوا لمساكنكم

من هنا مرَّ وجهُ المذابحِ

فاشتعلتْ هُدنة

والصغير يتوقُ لغمضةِ عينٍ بلا صرخةٍ

كنت أصحو

وأحلمُ

تأتين مقبرةً بالقرنفلِ والحبّ

صارَ القرنفلُ من بعضِ أنيني

بالملاحمِ طرزتُ ثوبي

إن هذا القرنفلُ من صلبِ أنيني»[1].

تأتي مؤولة الجراح – في هذه القصيدة – بمداليل مأساوية تعكس حالة من الأسى والجراح التي تعتصر ذات الشاعر بالشوق والعاطفة المرهفة الحزينة

(1) المصدر نفسه، ص 344 - 345.

حيناً، وجراح الاغتراب والحنين إلى الوطن حيناً آخر، محاولاً تكثيف مظاهر الأنين والوجاعة الداخلية في صوره العاطفية المأزومة، التي تغص بكل مظاهر الآلام والجراح والوجاعة والأنين؛ إذ يقول: «صار القرنفلُ من بعضِ أنيني، بالملاحمِ طرزتُ ثوبي، إن هذا القرنفلُ من صلبِ أنيني».

وقد تأتي صوره الغزلية ذات الصدى العاطفي الشفيف؛ غاية في التأزم والانكسار النفسي، نظراً إلى تراكم مؤولة الجراح والآلام في مساقاتها الشعرية إلى درجة الاستحواذ المطلق، كما في قوله:

«انتظري.. انتظري..

إن نهراً سيأتي ونورقُ ثانيةً

إنما ترجعينَ إذا رجعَ الماء

واتحدَ الوطنُ العربيُّ هزيما

أحبك رغمَ الحرائقِ والنهبِ

والقمعِ

والقهرِ

والسلطاتِ السخيفة

فاستعيديني أنا وطنٌ

ثم شيءٌ غريب

ثم ارتباكٌ وفوضى»[1].

تتأسس مداليل القصيدة على الإحساس بالقلق والأسى والجراح والتأزم النفسي من جراء كثافة الصور العاطفية المأزومة التي تبين هول الغربة، والقهر

(1) المصدر نفسه، ص 345 - 346.

والقمع الذي يعيشه الشاعر؛ برؤى ارتكاسية غاية في التأزم والانكسار والبعد العاطفي المتوتر بالقلق والوجاعة الداخلية، كما في قوله: «أحبك رغمَ الحرائقِ والنهبِ، والقمعِ، والقهر، والسلطات السخيفة، فاستعيديني أنا وطنٌ، ثم شيءٌ غريب، ثم ارتباكٌ وفوضى».

وهكذا؛ تتأسس مداليل الكثير من قصائد مظفَّر النوَّاب على حالة القلق والوجاعة والتأزم النفسي والاغتراب؛ مكثفاً صدى الجراح في جلّ قصائده، لتبدو وكأنها مركز البؤرة النصية في قصيدته.

– نتائج واستدلالات:

1. إن من أهم مداليل التجربة الشعرية – عند مظفَّر النوَّاب – ارتكازها على الغربة والاغتراب؛ إذ إن قصائده تحفل بشتى أنواع الرؤى الاغترابية من نفي واستلاب وصراع وتأزّم وانكسار وحزن، وتمرد وتعرية فاضحة بألفاظ نابية تخرج عن العرف السائد في كثير من الأحيان.

2. إن ما يزيد من كثافة الرؤى الشعورية العاطفية المأزومة في قصائده تكريسها للصور الارتكاسية الحزينة التي تصور الواقع برؤى انكسارية غاية في التعرية والمكاشفة الفاضحة.

3. تمتاز قصائد مظفَّر النوَّاب بإيقاعاتها الانفعالية الصاخبة التي تضج بالثورة والتمرد والعنف والتقريع؛ وكأن الشعور الداخلي الاغترابي المأزوم يقود الحركة النصية ويوجه مساراتها الدلالية في أغلب قصائده؛ كما نلحظ فيها نزوعاً إلى تكريس الصور الدالة على مآسي الوطن بكل مظاهر اتضاعه وانحلاله ودماره وفساده.